

(نص الحديث الثقافي في احتفالية ولادة الامام علي (ع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الانبياء والمرسلين حبيب الله العالمين ابي القاسم محمد وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميمين ثم الصلاة والسلام على سيد الوصيين وإمام المتقيين وقائد الغر الم嫉لين علي بن ابي طالب (ع) .. السادة الافضل الاخوة الاكارم الاخوات الفاضلات بداية ارجح بكم اجمل ترحيب وأبارك لكم هذه الايام الشريفة الكريمة من شهر رب الاصب الذي تصب فيه الرحمة صبا والذي يتزامن مع مواليد عديدة لأهل البيت (ع) ومنها ولادة سيدنا ومولانا امير المؤمنين الامام علي (ع) وفي هذا اليوم في العاشر من رب الاصب يقترن بذكرى ولادة حفيد رسول الله (ص) الامام محمد بن علي الجواد (ع) ونحن في بغداد في رحابه .

علي (ع) يمثل امتداد لرسول الله (ص) وتجسيدا للإسلام المحمدي الأصيل

في هذه المناسبات العطرة والكريمة نبارك فيها للأمة الإسلامية جموعاً ونسال الله تعالى أن يجعلنا من السائرين على نهج رسوله الراكم وأهل بيته الاطهار (ع) ، ماذا نقول في علي الرجل الاسطورة الرجل القدوة الذي كانت ولادته في اقدس مكان في الكعبة الشريفة وكانت شهادته في محراب صلاته في بيت الله في مسجد الكوفة وكرس حياته بين الولادة والشهادة في دعوة الناس الى الله تعالى فكانت البداية في المسجد والنهاية في المسجد والخط الفاصل بين البداية والنهاية هو القرب من الله تعالى والكمال نحو الله حل وعلا فهنيئاً لنا بعلي هذا الرجل الذي ما تحدث عنه القرآن الا بلغة الجمع في اشارة انه يمثل امة ولا يمثل فرداً يمثل نهجاً في هذه الحياة يمثل امتداداً لرسول الله (ص) وتجسيداً للإسلام المحمدي الأصيل . بسم الله الرحمن الرحيم " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون " هذه الفاء فاء التفريع ، علي امة ومنهجه على يمثل ذلك الاطار الذي يرتبط بالله هو الاطار لجماعة الله ، الحزب هو الجماعة في اللغة " فان حزب الله هم الغالبون " اي الجماعة التي تنتمي الى الله وتنصره في المشروع الالهي والإنساني " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " علي امة علي منهجه على اطار اسلامي جامع وشامل ماذا نقول في علي ، لاحظت هذه الرواية عن رسول الله (ص) يلخص فيها ويقيم فيها شخصية علي (ع) يقول الرسول الكريم فيما روى عنه (ع) من اراد ان ينظر الى آدم في علمه والى ابراهيم في حلمه " ان ابراهيم لحليم اواه منيب " والى موسى في هيبيته والى عيسى في عبادته والى يحيى بن زكرياء في زهده فلينظر الى علي بن ابي طالب) هذا تلخيص من رسول الله (ص) لشخصية علي (ع) ، علي عصارة علي يمثل امتداداً لرسول الله (ص) ولذلك ليس هذا ما نشهد فيه نحن المسلمين وحدنا وانما هو ما تشهد به الإنسانية آدم حتى الخاتم (ص) ولذلك ليس هذا ما نشهد فيه نحن المسلمين وحدنا وانما هو ما تشهد به الإنسانية جموعاً ، لاحظوا قرار الامم المتحدة في عام 2002 ماذا يقول هذا القرار التاريخي الذي اصدرته لجنة حقوق الانسان في عهد كوفي عنان " يعتبر خليفة المسلمين علي بن ابي طالب أعدل حاكم ظهر في تاريخ البشر " العالم يشهد لعلي ولنهجه علي ولعدله علي ولاستقامته علي وللاقتداء بعلي ولأسمطوريه علي ، تميز علي (ع) بشخصية متزنة جمع الاضداد في شخصيته نجد في سماته اللتين الرفق العطف الحنان التواضع خفض الجناج رعاية الفقراء وعوائل الشهداء البكاء على الطلامات التعاطف الوجاداني مع ما يلم بالامة قمة الرقة في علي (ع) ، وفي الوقت نفسه علي ذلك البطل الصنديد الذي يقاتل تحت لواء رسول الله في كل الغزوات حتى

ان المشركين لقبوه بقتال العرب دفاعا عن العقيدة وعن الرسالة ، كيف تجتمع هاتين السمتين من يكون رقيق القلب عادة يصعب عليه ان يمسك السلاح والسيف ويبطش بأعداء الله ولكنه كان نموذجا ورافقا ومتمنيا لقول الله تعالى " اشداء على الكفار رحمة بينهم " هكذا كان علي (ع) لا تأخذه في الله لومة لائم حازم شديد في الحق ، محمد بن ابي بكر ذلك العالم الجليل الذي كان ينظر اليه امير المؤمنين علي انه احد ابناءه له مواقف جليلة في طروف البيعة في الجمل في مواقف ومنعطفات كثيرة مر بها علي (ع) كان لمحمد بن ابي بكر موقفا متمنيا ولذلك كان يثق به كرمه وولاه مصر واليا لمصر ونحناليوم نتشرف بضيافة وفد كبير من جمهورية مصر العربية الشقيقة ونعتز بحضورهم بيننا ، بعد مدة تبين ان محمد بن ابي بكر عالم ولكنه ليس مدیر ما استطاع ان يدير دفة الحكم بشكل صحيح ارتفعت اصوات الناس فكان بين خيارين اما ان ينتصر للشعب المسلم وبختار لهم من يحسن الادارة واما ان ينحاز لمحسوبياته وعلاقاته والحسابات الخاصة التي تربطه بمحمد بن ابي بكر فغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وقدم ورقة بإعفاء محمد وأرسل مالك الاشتري ليكون واليا على مصر لاحظوا الحزم ، عقيل بن ابي طالب اخوه كان يعيش الفقر المدقع كان ابناءه يتذرون من الجوع والفاقة جاء اليه وكان بصيرا لا ينظر بعينيه جاء الى علي وقال يا علي هذا طرف في وطرف ابني اعطي اموال المسلمين قال الم تأخذ حستك قال بل ولكنها لم تكفي اريد زيارة قال انا اخوك ، علي (ع) ارتئى ان يحيي بجواب عملي وليس بالكلام اخذ حديدة ووضعها على النار حتى حتم قربها منه حينما استشعر بحرارة النار صرخ قال يا علي ما هذه النار التي تقرها مني قال ، الله حديدة يحميها ويضرم النار فيها انسان لدقائق لا تتحملها وتريد ان تحمل النار المستمرة من الله تعالى وأميتك عن غيرك ، لاحظوا الحزم والشدة والوضوح في الانتمار الى الحق .

في بيضة الشجرة في بيضة الرضوان في اجواء الحديبية في ذلك الموقف المخرج جمع رسول الله اصحابه الف وبضع مئات من الناس طلب منهم البيعة على الموت وعدم التراجع والتردد وان يحالقو معه حتى النصر او القتل والشهادة كان موقفا غريبا والناس لم يكونوا مستعدين نفسيا لاعطاء مثل هذا الالتزام فكان على الشاب العشريني اول من تصدى ورفع يده وقال ابا يعك يا رسول الله على الموت فبدأ يشد عود الآخرين ويقوى قلبيهم ويأتي واحدا تلو الآخر ويبايعوا رسول الله حتى من كان متربدا جاء مضطرا او خجلأ لبياع رسول الله (ص) هذا الوضوح فنزلت الآية الشريفة من سورة الفتح " لقد رضي الله عن المؤمنين اذا يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم " الله علم ما في قلوبهم هذا الاقدام بلا تردد او دراسة للخيارات بلا تقدير للمصلحة الخاصة هذا امر رسول الله (ص) فعلى لبى النساء ، كان يجمع بين الشجاعة والمظلومية والشجاع يأخذ حقه لا يكون مظلوما فكيف اذا كان شجاعا وحاكم لا معنى للمظلومية حينذاك ولكنه يقول " لقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاها وأصبحت اخاف ظلم رعيتي " الناس تخشى الحاكم والحاكم لا يخش الناس ، في وقت الناس تخشى الحاكم لكن انا على الحاكم اخش رعيتي عندي موازين وموابط في التعامل لا استطيع ان اضغط عليهم ان افتک بهم ان اروعهم بأجهزة قمعية وامنية مبادئ لا تسجم فانا مكبل ، الناس تشتكى وتقول وترفع اصواتها في حكم علي فأصبح يخاف ظلم رعيته .

علي (ع) يجمع بين الزهد والعطاء

كان (ع) زاهدا يحسب حساب لما يستفيد منه من نعم هذه الدنيا يربى نفسه تربية خاصة وكان يعمل وينفق هذا المال نتاج عمله ينفقه في عتق الرقاب وأعتقد أكثر من ألف رقبة وكان يطعم الفقراء والمساكين يحتفي بزير آخر في كل ليلة ويضع الطعام على كتفه ويسير في ارقة الكوفة ويضع الطعام على ابواب الفقراء وعوازل الشهداء ويطرق الباب ويغادر ويجدون الطعام امامهم ولا يعرفون مصدر هذا الطعام ، وكان بعضهم يسيء الى علي (ع) ويقول مجهولون يأتون لنا بالطعام وعلى الحاكم بعيد علينا ولم يعرفوا ان من يجلب الطعام لهم هو علي الا حين استشهاده وما ان قتل علي حتى انقطعت كل تلك المساهمات والعون

الذى كان يقدمه على لهم فعرفوا انه كان على ولكن كان يحب ان يقدم ذلك بالسر ، ما اكثرا المثلة التي يمكن ان نسوقها في هذا الامر ، كان يذهب مع خادمه قنبر فيشتري ثوبين الافضل يعطيه لقنبر ويقول انت شاب ولنك سلوك الشباب ، والارداء يرتدية هو وهو خليفة المسلمين ولم يكن يميزه احد في يوم من الايام كان هناك غريب دخل الى المدينة الى الكوفة ووجد على يمشي لوحده في الشارع لم يكن يعرف على هيااته زيه زي رث بسيط توقعه حملا قال يا هذا هل تحمل لي هذه البصاعة وتأتي بها الى البيت فأخذها على وحملها على كتفه وكان يمشي في السوق والناس تسلم عليه بالإمرة السلام عليك يا امير المؤمنين مرة ومرتين وثلاث هذا الرجل استغرب ومن هو امير المؤمنين هذا زيه وبهذه الطريقة يتواضع الى الناس ولم يرتضي على (ع) الا ان يوصل وقال ما توقعت امير المؤمنين هذا زيه وبهذه الطريقة يتواضع الى الناس ولم يرتضي على (ع) هذه العبارات والتي يرويها صاحب نهج البلاغة في كتابه الخامس والأربعين في رسالة لعلي (ع) لعثمان بن حنيف ، "ألا وان لكل مأمور أما ما يقتدي به ويستضيء بنور علمه ، ألا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه : اي بهذه القطعتين من الملابس ، ومن طعمه بقرصيه : واكتفى من طعامه بهذه القرصين من الخبز والرغيف ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد " امير المؤمنين هو يقول انتم لا تقدرون وليس مطلوب منكم ان تعيشوا التقشف بالمستوى الذي اعيشه لكن المهم الاستقامة "بورع واجتهاد وعفة وسداد " انه كان ليقوت اهله بالزيت والخل والعجوة : نوع من التمر قيل ان رسول الله (ص) غرسه فكان يأكل ومن معه في بيته وهو خليفة المسلمين الزيت والخل والتمر في زماننا وكان من يأكل الخبز والجبين او الخبز واللبن ابسط انواع الطعام الذي يتصور ، كان يجمع بين التشدد في المال العام في الحق العام والتساهل في حقوقه الشخصية ، ما هو حق شخصي له يكون متساهلا فيه وما هو حق للعامة وللناس كان يتشدد فيه ، هو يقول "لما سلمت امور المسلمين وكان الجور علي خاصة " اذا كنت انا شخصيا تحت الضغط اتحمل لكن ليكن المواطن ليكن الشعب في راحة ، لاحظوا في نهج البلاغة الخطبة 15 هذه اول خطبة بعد ان تصدى للخلافة ، فيها "والله لو وجدته (المال العام وأموال الشعب) لو وجدته قد تزوج به النساء (اخذه احدهن المال العام وتزوج به امرأة وصارت زوجة وذهب المال) وملك به الاماء لرددته (اخوجه من حلقوم من اخرجه وأعيده الى بيت المال والشعب) فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق "

علي مع الحق والحق مع علي

في رسالته لأحد ولاته والتي يبدو انه اخذ مبلغا من المال كان يعتقد هذه من صلاحياته واستحقاقاته كيف في زماننا المسؤول يأخذ ايفاد ومبرأة للإيفاد هذا الوالي اراد ان يسافر فاخذ مبلغا من المال معه وسافر وأرسل له رسالة يذكرها صاحب نهج البلاغة في كتاب 41 يقول له " فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم "ليس اموال علي بل اموال الناس والمال العام الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل (اذا ارجعتها جيد صار لك ما عرفت لكن اذا تمكنت بها معناها انت مصر على اكل اموال الناس) فانك ان لم تفعل ثم امكنت الله منك " ووصلت اليك واستطعت ان امسك بك " لاعذر الله فيك " اعمل بك شيء وافعل بك كما نقول في اللهجة الدارجة ، " حتى تكون عذرا بين يدي الله لي ان واليا وضعته ووضع يده على بيت المال " ولا ضربتك بالسيف الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار " ضربة بسيفة وهذا السيوف ما ضرب احدا علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار " عن رسول الله (ص) ، " والله لو ان الحسن والحسين فعل مثل الذي فعلت ما كان لهما عندي هؤادة "ليس عندي قرابة ولا تساهل حتى مع ابني الحسن والحسين لو مدا يدهما الى المال العام ، "ولا ظفرا مني بإرادة حتى اخذ الحق منها " لا تأخذه في الله لومة لائم لو كان الحسن والحسين لاتخذ هذا الموقف ايضا .

تصديه لقيادة المسلمين سياسيا لم يكن طمعا في سلطان بل لدافع الهيئة لخدمة الامة

بل نلاحظ حتى في تصديه للشأن العام وللعملية السياسية انذاك قيادة المسلمين سياسيا يوضح هو في اكثرب من موقع ان هذا التصدي لم يكن رغبة وطمعا في سلطان والوصول الى امكانات وجاهة وموقع وسلطة وانما كانت الدوافع الهيئة كانت البواعث ربانية كان الهدف خدمة المواطنين ، لاحظوا ماذا يقول بصيغة الدعاء ويشهد الله على ذلك " اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسه في سلطان ولا التماس الشيء من فضول الحطام (لا نريد ان ننافس السياسيين في مواقفهم ولا نبحث عن حطام هذه الدنيا) " ولكن لنرد المعالم من دينك" (نريد ان تكون معاالم الدين حاضرة والعدالة الاجتماعية حاضرة والمبادئ السماوية والرسالية في الانصاف بين الناس ان تكون حاضرة) " ونظهر الاصلاح في بلادك " (نريد ان نصلح ونطور ونرثي الاعمار والازدهار لبلادنا) "فيأ من المظلومون من عبادك " اذا كانت عدالة اجتماعية واعمار وازدهار واستقرار سيشعر المواطنون بالأمان) في ما من المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك " ولذلك نجد انه يضع معايير متشددة لمن يتصدي للشأن السياسي وللشأن العام والخدمة العامة ، لاحظوا في الحكمة 68 في نهج البلاغة " من نسب نفسه للناس اماما فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره " ايها المسؤول ايها السياسي قبل ان تعطي شعارات وتعلم الناس بالشيء ابدا من نفسك وعلم نفسك وطبق وجسد هذه الاعمال وهذه المبادئ قبل ان تتحدث بها الى الاخرين ، "وليكن تاديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه " الناس تسمع الكثير لكن ت يريد من يعمل ، ايها السياسي ايها المسؤول عملك وأدائك ليكن اداءا مبدئيا ، وليجد الناس مبادئك في سلوكك قبل ان يسمعوا في كلامك ، " ومعلم نفسه ومؤديها احق بالإجلال من معلم الناس ومؤديهم " تزكية النفس يا مسؤول اهتم بتربية وإعداد نفسك قبل اعداد الاخرين ، هذا ما روي في روايات عدة "كونوا لنا دعاة صامتين " بغير السننكم العمل السلوك الاداء ان يكون اداءا مبدئيا ورساليا ..

منهج امير المؤمنين (ع) يتمحور حول بناء الانسان والاطلاق لبناء الدولة

منهجه في الحكم كان يعتمد ويتمحور حول الانسان كيف يبني انسانا في المجتمع وينطلق من بناء الانسان لتبني الدولة على اكتافه ، فيما ان المنهج الاخر هو بناء الدولة للسيطرة على الانسان و الحكم الانسان ولماذا تحتاج الدولة لتحكم المواطنين لتضييق ايقاعهم وشتان بين محورية الانسان وبين محورية الدولة المهيمنة والمسطرة على الانسان ، انظروا الفارق الكبير بين المنهجين ، ولذلك نجد اهتمام امير المؤمنين بالبعد المعرفي الفكري والثقافي والعقيدي وال النفسي والروحي اهتمام وافر في اوج الحرب والصراع في احدى معاركه جاءه احد المقاتلين قال ياعلي ماذا يعني احد في قوله تعالى قل هو الله احد " ماذا يعني احد والمقاتلين الاخرين وجدوا ان هذه قضية تفصيلية واين الان في وقت السؤال وال Herb قائمة والرؤوس تتفالفها السيف فقالوا له انت (بطران) لهذا السائل اين نحن وهذه الاسئلة عندما نرجع الى مسجد الكوفة استل الامام قال لا ونحن في لحظة الحرب علي علي السلام قال "لا نحن نقاتل من اجل هذا " تعال لأقول لكم اهو الاحد نحن نقاتل من اجل المعرفة ونقاتل من اجل القيم ومن اجل المباديء ومن اجل الرؤية وال بصيرة ومن اجل ان يكون مستوى معرفي وثقافي مرتفع في مجتمعاتنا ومن اجل ان نعيش حياة كريمة انسانية "ولقد كرمنا بني ادم " كما في القرآن الكريم ، لاحظوا هذا المنهج المعرفي منهج بناء الانسان في حكم علي (ع) وهذا ما تطلب ان يمنح الحرفيات الواسعة في فترة حكمه ، حرية الفكر والنقاش وكان اي مواطن بسيط يقف في المسجد ويعرض على علي ويسأله ويناقشه ويأخذ ويعطي معه في الحديث وأصبحت هذه ظاهرة بسيطة وطبيعية حرية الاعتراض وحرية العقيدة وكان في رحاب حكم علي من هو متعدد في الديانات والانتماءات والمشارب الفكرية المختلفة وكان يقول " كل شيء مباح ما لم يرتفع احدهم السيف ودخل بالنظام في المجتمع "دون ذلك مسموح حتى الخوارج لم يقاتلهم الا حينما قطعوا الطريق ورفعوا السلاح

بوجه علي وبدئوا بقتل الناس وتحملهم طويلا وترجع المحن والآلام من انحراف ومن سوء تعاملهم معه ومن ارباك مجالسه ومحاضراته وخطبه في المسجد وغير ذلك كانوا يقفون ويقاطعون اثناء الصلاة ويرفعون اصواتهم بأيات من الذكر الحكيم فيها تعریض بعلي عليه السلام ولم يسمح ان يتعرض لهم احد وكان يتحملهم حتى رفعوا السلاح فقاتلهم وأعطى لهم فرص كبيرة في النهروان وقف وقال " كل من يذهب تحت تلك الراية ويخلص عن القتال انا لا اقاتلهم " ذهب عدد من الناس من اولئك الخارج وقفوا تحت تلك الراية وهم يسبون علي ويشتمون علي قال " مادمتم لا تحملون السلاح انا لا أقاتلكم " وحتى بعد ان اضطر لقتالهم في النهروان وقاتلهم ترك وصيحة خالدة " لا تقاتلوا الخارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأماما به " اولئك عندهم عقيدة منحرفة وفاهمين الامور خطأ ويتصور انه على خطأ قاتلوهم بمقدار الضرورة بدفع الاذى دون ذلك الزمان كفيل بتصحيح عقائدهم وهدايتهم الى غير ذلك ، اذن كان منهجه علي منهجه الحرية الفكرية ، كان منهجه علي بعيدا عن القمع والاستبداد والاستفراد بالرأي وكان يمنع قمع الافكار وتكثيم الافواه ، هذه الحرية والعدالة الاجتماعية معدنين اساسيين في حكم علي (ع) ولذلك كان البنيان الذي بناه اقوى من بناء الحكومات والإمبراطوريات ، تلك ببطشها وفتكتها وأجهزتها القمعية توجد حالة من الخنوع في لحظة ما فتبعد الامور مستقرة والكل يصفق ويقول نعم سيدى ، ولكنه خواء وان اوهي البيوت لبيت العنكبوت " سرعان ما يتهاوى اما الحكم القائم على اساس الانسان والوعي والمعرفة والرؤى دوم هناك اعتراض وهناك رأي اخر هناك تنوع وتعدد ولكن الجميع متمسك ومتشبث بالحياة وبحماية تلك الدولة فتلك الدولة المبتنية على اساس الحق دولة مستدامة ، منهجه علي هو منهجه الناجع على المستوى الاستراتيجي ومنهج الطغاة والدكتاتوريات هو منهجه الذي يحقق نجاحات لحظية وقربية زمنيا قصيرة ، ولذلك علي هو يقول "دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة" الباطل في لحظة ما يقبض هيمنته ويتسلط على الناس وعلى اراده الناس ويکمم الافواه والكل يتهدرون باللون الواحد والحزب الواحد والقائد الضرورة ، ولكن في لحظة انهيار ينتهي كل شيء ويصبح ملعنة للتاريخ اين الطغاة اين الطالمين اين الامبراطوريات الكبرى ذهبوا دون رجعة اين علي واين من مثل علي ومن على نهج علي في الحكم العادل هؤلاء اليوم نجدهم قامات شامخة في صميم التاريخ وفي ذاكرة التاريخ ، ومن هنا علينا ان ننتقل الى واقعنا السياسي في العراق .